النوّة

أسحار أحمد عزالدين

الإسكندرية يناير ١٩١٧

في إحدى أمسيات شهر يناير المظلمة، الباردة ولا نبالغ إن قلنا المثلجة، كان يمشي على الشاطئ وحيدًا، فعلى الرغم من أن الجو لم يكن يسمح بذلك لوجود نوّة إلا أن عشقه للبحر كان أقوى منه، انتهز فرصة توقف الأمطار التي لا تتوانى في ترك ليالي الشتاء وحيدة بدونها وذهب ليتمشي على الشاطئ.

لفتت نظره من بعيد امرأة كانت ترتدي ثوبًا طويلًا يصل إلى قدمها وتمسك في يدها بغطاء للرأس وشعرها المنسدل كان يتطاير بفعل الرياح القوية، اندهش لوجود المرأة خارجًا في هذا الوقت وفي هذا الطقس، كان محتارًا من أن يذهب ليتحدث معها أم يتركها لشأنها، عندما وجدها بدأت تخطو ناحية البحر خطوات سريعة، بدأ يجري ناحيتها وهو يفكر

"هل تفكر في الانتحار يا ترى؟! بالتأكيد سيكون كذلك لما ستدخل إلى البحر إذن"

كانت المياه قد وصلت إلى منتصفها عندما بدأ ينادي عليها:

- يا آنسة، يا سيدة انتظري ماذا تفعلين يا آنسة؟!

لكنها لم تعره أي انتباه كانت أمواج البحر قد غطتها وكل بضع لحظات يظهر جزء من رأسها إلى أن اختفت تمامًا، لم يعرف ماذا يفعل هل يدخل وينقذها؟!

لكن البحر خطر للغاية هل هناك احتمال أن ينقذها إذا دخل وراءها؟! هل يوجد احتمال لينقذ نفسه إذا دخل وراءها أصلًا ؟

قال في نفسه: لقد تأخر الوقت، لابد وأن الأمواج سحبتها للداخل، لا أمل من إنقاذها،

بدأ يسير بعيدًا متلفتًا كل لحظة إلى المكان الذي دخلت منه للبحر.

الإسكندرية يناير ٢٠١٧

توجهت سُها إلى باب الشقة غاضبة، قابلتها والدتها وقالت:

- إلى أين أنت ذاهبة؟
- سأخرج لأستنشق بعض الهواء قليلًا.
- في هذا الجو وفي هذا الوقت ؟!

تركتها تنادي عليها و نزلت واستقلت سيارتها غاضبة، ومشت على طريق الكورنيش الذي كان شبه خاليًا في هذا الجو العاصف إلا أن توقفت عند أحد الشواطئ المفتوحة نزلت وتقدمت ناحية البحر وقالت له بعيون دامعة:

"لطالما كنت صديقي الذي أُبُثه كل أسراري، تصور إن والداي ما زالا معترضان على زواجي من الشخص الذي أحبه، وليس هذا فحسب بل يريدون تزويجي من شخص آخر،

obeikandl.com

أنا مستعدة لكي أحاول معهما مرة أخرى لكن المشكلة أني أخشى أن يستسلم يوسف بسرعة، هل تعلم بأنه في آخر لقاء لنا كان يلمح بأننا لن نستطيع أن نلتقي ثانية؟ لقد فقد الأمل في موافقة والداي على زواجنا"

كانت الأمواج شديدة والبحر يهدر بعنف قالت: أنت متضايق من أجلي إنك لوفيٌ جدًا.

ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة وقالت:

- بالطبع لا، أعرف بأنك غاضب لشأنك الخاص ليس بسببي.

توجهت نظراتها وهي ساهمة إلى اليسار حيث وجدت امرأة واقفة على شاطئ البحر بعيدة عنها قليلًا ترتدي ثوبًا أبيض طويلًا يصل إلى قدميها وشعرها الطويل يتطاير تمسك في يدها غطاء للرأس بدأت المرأة في التوجه ناحية البحر حتى لامست قدميها المياه

توجهت إليها وقالت:

- يا آنسة هل أنتِ بخير؟!

لكنها لم تعرها انتباهًا كانت تخطو بخطوات بطيئة إلى البحر.

اقتربت منها وأمسكت بيد المرأة اليمنى وقالت: ماذا تفعلين؟ هل أنتِ بخير؟!

كانت يد المرأة باردة كالثلج، نظرت إليها كانت بيضاء للغاية وعيناها زرقاء صافية كلون البحر في أيام الصيف المشرقة.

وقالت بصوت هامس: ذاهبة لمصيري.

ثم أمسكت بيدها اليسرى ذراع سها بقوة وقالت لها: هل تودين أن تأتي معي؟!

جفلت سُها و تركت يد المرأة ولم تشعر بنفسها إلا عندما استيقظت على شاطئ البحر، لقد فقدت وعيها، تلفتت حولها كانت المرأة قد اختفت، نظرت إلى ساعة هاتفها، لم تكن قد تجاوزت الربع ساعة منذ أن وصلت للشاطئ.

عادت إلى المنزل وهي ما زالت تشعر بثلوجة يد المرأة في يدها، كانت أعصابها متعبة، نامت وحلمت حلمًا غريبًا:

كانت في غرفة بسيطة قديمة جدًا لا تنتمي إلى هذا العصر إلى أن فُتح الباب ودخلت منه شابة صغيرة تبكي، جلست على السرير و هي تغطي بيديها وجهها وتبكي اتجهت إليها في بطء قائلة في نفسها:

- هذا الشعر وهذا الشكل، إنها نفس المرأة التي التقيت بها على الشاطئ!

فجأة فُتح باب الغرفة ودخلت امرأة كبيرة وقالت لها:

- لماذا تبكين؟ هل من تُخطب تبكي؟

نظرت إليها الفتاة و الدموع تبلل وجهها:

- ولكني لا أريد أن أتزوجه!

- لماذا هل ستجدين من هو أفضل منه؟!

نظرت إلى الأرض ثم قالت بصوتٍ منخفض يكاد يكون غير مسموع:

- نعم لقد وجدت.

انفعلت المرأة الكبيرة وقالت:

- ماذا تقولين ؟! هل جننتِ؟!
- أمي أنا أحب شخصًا آخر أنتظره لكي يأتي ويخطبني.

أمسكتها المرأة من ذراعها بقوة وأوقفتها وقالت لها:

- اصمتي اصمتي، إياكِ بأن تقولي هذا الكلام، هل تعلمين إذا سمع والدك بهذا ماذا سيفعل؟! سيقتلك!!
- أُفَضِّل أن يقتلني على أن يزوجني بشخصٍ لا أحبه!
- قلت لكِ اصمتي اصمتي ستفضحينا!

خرجت المرأة الكبيرة من الباب وتركت الفتاة بمفردها وهي تبكي، ثم قالت:

- لن انتظره ليقتلني، لن أكون تحت رحمة أحد حتى في انتظار موتي.

استيقظت سها من النوم فَزعة، توجهت إلى الصالة حيث والديها وقالت لهما:

- أنا سأتزوج من يوسف مهما كلف الأمر.

نظر والديها لها بدهشةٍ، ثم قال لها والدها بهدوء:

- وأنا لن اسمح بهذا مهما كلف الأمر.

توجهت سُها إلى غرفتها وطلبت يوسف على هاتفه، عندما جاءها صوته قالت له:

- يوسف اسمعني جيدًا أنا سأتزوجك رُغمًا عن والداي سأهرب وأتزوجك.
- هل أنت مجنونة ؟! أنا لن أسمح لنفسي بأن أتزوج واحدة رُغمًا عن والديها.
- حتى وإن كان الثمن أن تتخلى عن حبك؟!

obeikandl.com

- وحتى وإن كان الثمن ذلك، اسمعيني جيدًا يا سها أنا أحبك كثيرًا ، ولكن لا أستطيع أن أرتكب مثل هذا الخطأ الفادح من أجل الحب، لأن الحب من المفترض بأنه طاقة خيِّرة يعطي للإنسان دفعة لفعل الأشياء الجيدة والإيجابية وليس ارتكاب الأخطاء!

كانت سُها مصدومة ويائسة، سقط منها هاتفها على السرير وبدأت في البكاء.

بعد عدة ساعات في المساء وعلى شاطئ البحر الهادر وقفت سها تتأمله ثم قالت: "ألم أقل لك بأنك صديقي الوفي، ستتحملني إذا ما أردت أن أعيش معك أليس كذلك؟ هل تقبل بأن تكون مصيري؟!"

obeikandl.com